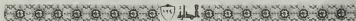


الْعَبَقُورِيَّةُ
وَالْعَبَّاقِيَّةُ
عند
الْعَمُّوْقَاتِيَّةِ

• الأستاذ. أحمد عبد الرحيم السامح •





الكتابة عن العبقريّة والبطولة أو العافرة والأبطال خط واضح مميز في كتابات العقاد.. وهذا الخط له أهمية خاصة عند الدارسين فهو عنوان تدرج تحته عناوين كثيرة من حيث الموضوع والدلالة. فالشخصيات الإنسانية التي كتب عنها العقاد منها ما هو أدخل في فن التراجم، ومنها ما هو مزيج في بين الترجمة والدراسة. وهي في الحالين، وعلى أي الصورتين مفتاح من مفاتيح نفسه هو. وشخصيته هو..^(١).

دراسة العقاد لطرز مختلفة من الشخصيات. فيه لون من المقابلة يعتمد إليها لأنها في نظره وتقديره أنفع الدراسات النفسية. فهي دراسة نافعة لفهم حقيقة الإنسان، وفهم حقيقة الجماعات، ونافعة لكل من يهنيه أن يحسن تقدير الأعمال الكبرى، والدعوات الشاملة، ونافعة لمحة العقل، وتوسيع آفاقه..^(٢).

والعقاد يختلف عن غيره ممن كتبوا في الإسلام. حيث استخدم في تناول المادة الإسلامية ثلاثة مناهج مختلفة: فحين يكتب العبقريات غيره حين يترجم للشخصيات. غيره حين ينشئ الدراسات والأبحاث.. فالبحث فيما كتبه الفيلسوف العقاد عن الإسلام يقتضي التمييز بين تناوله للعبقريات، والشخصيات، والدراسات^(٣).

والعقاد يقسم النوابع من أصحاب الرسالات والترجمات إلى فئتين فيقول: إنني علمت من تجربتي في قراءة التراجم وكتابتها أن النوابع من أصحاب الرسالات فئتان: فئة تظهر في أوائها لأن أسباب نجاحها تمهدت، وتم لها النجاح قبل فوات ذلك الأوان.. وفئة أخرى تظهر لأن الحاجة إليها قد بلغت، وهي تظهر لتحقيق تلك الحاجة التي تبحث عن صاحبها، وله منها معنى يذلل صعابها، ويهدي إلى طريقها^(٤).

والعقري عند العقاد إنسان يقيس الأشياء بمقياسه الخاص الذي يعلو على مقاييس العامة، ويأخذ نفسه به، وأنه إنسان لم يخلق لخدمة نفسه، أو أسرته، أو عشيرته وكفى.. بل هو من خلق لخير إنساني عام، وأوتي من القوة ما يخدم به غيره، ولو اتخذ هذا الخير الإنساني العام صورة عالية أو قومية أو وطنية أو قبلية^(٥).

والعبقريّة عنده تنمو على البذل والعطاء، ولا تتورم بالثب أو السلب، أو الجور على حقوق غيرها حتى تنفجر. باختصار عظمة العبقري عند العقاد هي التي تقول: نحن ولا تقول «أنا» مبتورة الجذور والفروع عما حولها. وحتى لو سمعت منها «أنا» فلا نفهم معناها إلا «نحن»^(٦).

وآية العبقريّة عند العقاد: سبق الرؤية فضلاً عن وضوحها. فآية العبقريّة أن تلهم صاحبها ما يحسب اليوم كفراً، ويحسب في الغد حقيقة من حقائق الإيمان والحكمة ومصلحة من مصالح الواقع والعيان..^(٧)

وأجدر عبقريّة عنده بإعجاب وتشريف مقاً عبقريّة يلتقي فيها سداد الفكر بشجاعة الضمير، والدنيا لا تضمن بإعجابها على عبقريّة تنفرد بالفكر السديد، ولا عبقريّة تنفرد بالخلق الحميد^(٨).

ويريد العقاد بالعبقريّة: الإلهام الرباني، ووضوح الرؤية، والتوقعات في الرأى والفطنة الواجبة، وبلوغ هذا كله، مجتمعاً ومتفرقا، غاية تثير الإعجاب عند من خبروها بالتجربة أو السماع.. ولا يتجاوز الأمر هذا إلى ضلّاعة العقول، أو فتوحات العلم.. لأن عصرهم كانت حاجته أشد إلى نور الهدى، وخلق النفوس، وإشاعة قيم جديدة وقد نجحوا في هذا نجاحاً تحويلياً نقل قومهم من حال إلى حال يستحق من أجله أن يسمى عبقريّة..^(٩)

على أن العقاد أوضح بنفسه طريقته في الترجمة، وغايته منها. وهما يكادان يكونان شيئاً واحداً، هو: «التعريف بالنفس الإنسانية في حالة من أحوال العظيمة والعبقريّة أو حالة من حالات النبل والأريحية. فإن جاوزنا هذا المقصد إلى غيره فإنما نجاوزة لجلاء فكرة تحيط بأطوار التاريخ الإنساني، ونخرجه من غمار التيه والظلمة، وتسلك به مسلكاً غير مسلك التخبط والضلّال..»^(١٠)

وشروط العظيمة عند العقاد، فيمن ترجم لهم همة الجبايرة من رجال العمل، وطموح المثاليين من المؤمنين بالفكرة. يظهر هذا ويقف وراءه خلق مكين يقاوم كل إغراء، ولا يتخاذل أمام الوعيد.. وهو يرى في عظمة العظيم أو عبقريّة العبقري صورة من صور العظيمة الإنسانية وهي بهذا وحده تستحق الوقوف عندها، والكتابة عنها، فضلاً عن دلالتها في تفسير أطوار الأمم، وأسرار التاريخ. بل إن العظيمة أو العبقريّة في مفهوم العقاد هي شخصية فذة متميزة بالثفرد الفوق، شخصية فعالة بذاتها وقدراتها في عصرها، وغالباً تمتد قوة أثرها إلى عصور قريبة أو بعيدة. تغيب هي ويبقى الأثر.^(١١)

والعقاد في كتابته عن العبقريّات أو العباقرة يجمع بين فلسفتين متباينتين: هل البطل يصنع التاريخ؟ أم التاريخ هو الذي يصنع البطل؟..

أو كما يتساءل العقاد: هل للبطولة شأن في حياة الأقسام أو هي في حياة الأقسام صفر على اليسار؟.. هل المادة وحدها هي الترجمان المفسر للتاريخ أو هذا التاريخ مفسرات أخرى قد تهزم المادة وتنفضه وتحداه؟..

العقاد يرى أن العبقري يولد كالفلقة التي تنبت على غير قصد في فرع من فروع شجرة الحياة، ثم تصبح الفلقة مثلاً يحتذى، وقالياً يصب فيه الأنداد والنظراء.. والبطل والعبقري يتشابهان في التقدية بكل شيء في سبيل الغاية التي يقصدان إليها أو ينساقان إليها على غير قصد منهما. والناس ينساقون معهما ولو أهلكهم مطامع البطولة ومطالب العبقرية..^(١٢).
ويفرق العقاد بين العبقري والبطل، بقدر ما بينهما من أفضلية العبقري، فإن البطل قد ينحرف عن الجادة الكبرى مرضاة لكبريائه وسلطانه. ولا يكثر العبقري لجأه أو سلطان إذا حدا به عن غايته، وهي خلق الأمثلة الجديدة، والقيم البدعة في أحلام الناس، ثم في واقع الحياة..^(١٣).

حصيلة هذا: إن العبقرية تفرد يؤيد استحالة التساوي بين الناس في المواهب، بل استحالة إنقاص الفارق بينهم فيها. والعبقرية صفة العبقري وحاله، وهي جملة المواهب السامية التي تمكن صاحبها من التفوق. ولها عند الفلاسفة تعريفات مختلفة فهي عندهم إلهام سريع، أو حدس قوي، أو صبر طويل، أو قوة خلق وإبداع، أو قدرة عجيبة على التحليل والتركيب.. وإذا أضيفت العبقرية إلى الفرد، دلت على ما يتصف به من استعدادات طبيعية خاصة، وإذا أضيفت إلى آثار الأفراد أو الجماعات، دلت على ما يتصف به هذه الآثار من أصالة..^(١٤).
والعقاد حين يكتب عبقرياته لا يكتفي بالعرض المنظم تنظيماً آلياً أو شبه آلي، بل ينسق الملامح البارزة في كل صورة، وينفخ فيها من روحه وروح العبقري الذي يكتب عنه فيحب من نفوس قرائه، حتى يعاطفوا عبقريته، فيجدوا في نفوسهم آثار فضل كفضلها، ويلموا بحمل من لغتها.

ومن ثم يشعر القارئ بالغبطة، لأنه يرى أنه قد ارتفع فوق نفسه، وحلّق في أفق أعلى مما اعتاد أن يحلّق من أفق، بل يمثل من العبقرية بأكثر مما أداه العقاد إليه ويلقن من آياتها أكثر مما لقنه، ويضرب بجناحه في أفق أعلى مما أراد العقاد له أن يحلّق.. ذلك أن العقاد في عبقرياته لا يقصر خطابه على قارئه، بل يحرك كل حياته ويستجيش كل ما تشتمل عليه من

عاطفة وشعور وخيال وبهذه ونأمل ونفكير..^(١٥)

وفي البحث عن منهج العقاد في تناوله العقيدة نجد بهم أولاً، بل يجهد نفسه ويرهقها لإيجاد مفتاح للعقيدة الذي يتعرض له.. وبهذا المفتاح يفتح الأستاذ العقاد مغاليق هذا العقيدة ليكشف مدى عظمتها وحدودها، وما يصدر عنها من أفعال، وتصرفات وفهمها بالنسبة للإنسانية عامة..

وهذا بالطبع يتطلب من العقاد الفهم الواعي لمفتاح هذا العقيدة.. أمراً يجعله يقوم بالتحليل النفسي^(١٦) الدقيق لهذه الشخصية التي يراها عقيدة، ثم الإحاطة الشاملة لملاهبات العصر الذي عاشت فيه..

وفد يحدث أن يتشابه مفتاح إحدى شخصياته مع مفتاح شخصية أخرى، ولهذا يكاد العقاد ذهنه في البحث عن اختلاف في السلوك^(١٧) الإنساني بوجه عام هاتين العقيدتين المتشابهتين في المدخل. فعند البحث مثلاً عن مفتاح لعقيدة عمر بن الخطاب وجدته في طبيعته كجندى، ونفس هذا المفتاح «طبيعة الجندية» وجدته لعقيدة خالد بن الوليد.. وهنا يوضح العقاد الفرق بين العقيدتين حين يجعل عمر تغلب عليه من طبيعة الجندية ناحية «الروحانية» بينما تغلب على خالد من هذه الطبيعة ناحية «الحياة» أو بعبارة أخرى كانت جندية ابن الخطاب «موزعة» حكيمه بينما جندية ابن الوليد «مدفوعة هاجمة»^(١٨).. وحينما يشرح العقاد في كتابه: عقيدة محمد «يقول»: إن عقيدة محمد عنوان يؤدي معناه في حدوده المقصودة ولا يتعداها، فليس الكتاب سيرة نبوية جديدة تضاف إلى السير العربية والأفريقية التي حفلت بها المكتبة الضخمة حتى الآن، لأننا لم نغصد وقائع السيرة لذاتها في هذه الصفحات على اعتقادنا أن المجال منسج لعشرات من الأسفار في هذا الموضوع، ثم لا يقال أنه استفاد كل الاستفادة.

وليس الكتاب شرحاً للإسلام أو لبعض أحكامه، أو دفاعاً عنه، أو محاولة لخصومه. فهذه أغراض مستوفاة في مواطن شتى، يكتب فيها من هم ذووها ولهم دراية بها وفيرة عليها^(١٩).

إنما الكتاب تقدير «لعقيدة محمد» بالمقدار الذي يدين به كل إنسان ولا يدين به المسلم وكفى. وبالحق الذي يث له الحب في قلب كل إنسان وليس في قلب كل مسلم وكفى..

فمحمد هنا عظيم لأنه قدوة المتقين في المناقب التي يمتناها المخلصون لجميع الناس.. عظيم لأنه على خلق عظيم، وإبناء العظمة حفظها لازم في كل آونة وبين كل قبيل..^(٢٠)

وإذ يتفق العقاد مع الدكتور هيكل في أن ما جاء به محمد يتفق مع العقل نجد أنهما يختلفان في طريقة الرسول في مخاطبة العقل.. الدكتور هيكل يرى أن هذا الخطاب كان خطاباً مباشراً ينتجه إلى عقول الناس، التي تمثلت من الفطرة والتجربة ما يمكنها من التفريق بين الحق والباطل. والأساذ العقاد يرى أن هذا الخطاب كان غير مباشر لأنه كان يتجسد في أعمال النبي وسلوكه أي في شخصه العظيم..^(٢١)

وإذا كان بعض المفكرين المسلمين ومنهم الإمام محمد عبده^(٢٢) والدكتور هيكل^(٢٣) يرون أن إيمان الإنسان بالله سابق على وجود الأنبياء.. لأنه كيف يصدق رسالة النبي إذا لم يؤمن بوجود الله الذي يبعث النبي.. فإن العقاد يرى أن محبة الناس لشخص الرسول كانت سابقة في قلوبهم، وأرواحهم، لحب العقيدة والإيمان. أو أنهم أحبوا الرجل الذي تمثلت فيه العقيدة على أكمل مثال فأنبهروا بالرجل المثال، وآمنوا بالعقيدة التي بدت أمامهم ممكنة بل متحققة..^(٢٤)

والإنسان العبري أو الإنسان البطل هو محور اهتمام العقاد كله. والبطولة الإنسانية عند العقاد تقف في مقابل الضروريات الطبيعية، والقوانين الختمية المألوفة. الإنسان في مقابل الطبيعة، الفكر والإرادة في مقابل الغريزة والضرورة.

فالعقل خلق المادة وليس العكس، لأن المادة لا توجد ما هو أفضل منها، وفاقده الشيء لا يعطيه، والله موجود لأن تفسير الحقيقة بمشيئة الخالق العالم المرشد أوضح من تفسير يقول به الماديون. وما من مذهب اطلعت عليه من مذاهب الماديين إلا وهو يوقع العقل في تناقض لا ينتهي إلى توفيق. أو يلجته إلى زعم لا يقوم عليه دليل.. وقد يهون معه تصديق أسخف الحرافات والأساطير، فضلاً عن تصديق الدين وتصديق الرسول والدعاة.. فالقول بالتطور في عالم لا أول له عرافة تعرض عنها العقول، لأن ابتداء التطور يحتاج إلى شيء جديد في العالم، وحدث التطور بغير ابتداء تناقض لا يسوغ في اللسان فضلاً عن الفكر، أو الخيال.. والقول بالارتقاء الدائم عن طريق المصادقة زعم يهون معه التصديق بالخرافات وغوارق العادات في تركيب الأجسام أو الأحياء..^(٢٥)

العقاد يرى أن عقربة النبي، هي التي فتح بها قلوب الناس كما فتح البلاد والأمصار. هي سليفة نفسية، وطبيعة فطرية، لا بد للبيئة أو للمجتمع أو للعصر من صنعها^(٢٦).

ولقد ترجم العقاد لعدد من الشخصيات الإسلامية. وهو لا يعني أن يسجل سيرهم، إنما يعني أن يحلل تلك الشخصيات، وبفهم حقهم من التنظيم والتقدير والتوقير وكثيراً ما نبه على ذلك في كتاباته عنهم ولا سيما كتاباته عن العاقبة. فهو لا يكتب عنهم ترجمة أو سيرة أو تاريخاً فهذا لم يقصده، وليس هو منهجه. وحسبنا دلالة على منهجه كلمة «عبرية»^(٢٧). وبهذا النهج الخاص بالعقاد، وتميزه عن غيره — يبرز العظيم في صورته التي تميزه عن نظرائه، ويعطي الشخصية قدرها. ولم يحاول أبداً أن يقول في الشخصية ما ليس فيها، ولكنه يعمد إلى الحقيقة والصدق وهو ينظر إلى الحادثة ومهما كانت بنظره الثاقب إلى أبعاد هذه الحادثة ويحللها، ويستخرج منها ما يدل على الأمور النفسية التي تدل على حقيقة الشخص وتميزه.. ولقد ميز بين من يستحق العظمة أو من يمكن أن نسحبهم عاقبة، وبين من يستحق الامتياز فحسب، ولا تلحقه صفة العبرة.

ولقد تناول العقاد أبا بكر الصديق في عبرته. ويقول في تقديمه «عبرية الصديق»: إني لم أكتب ترجمة للصديق رضي الله عنه، ولا أكتب تاريخاً لخلافته وحوادث عصره، ولا أعني بالوقائع من حيث هي وقائع، ولا بالأخبار من حيث هي أخبار.. فهذه موضوعات لم أقصدها، ولم أذكر في عناوين الكتاب ما بعد القارئ بها، وبوجه استطلاعها إليها^(٢٨).

إذن ماذا كان يقصد العقاد بعد ذلك من تأريخه للصديق أبي بكر؟ يقول: إنما قصدت أن أرسم للصديق صورة نفسية تعرفنا به. وتجعل لنا خلايقه وبواعث أعماله، كما تجعل الصورة ملاح ما تراه العين.. فلا تعيننا الوقائع والأخبار إلا بمقدار ما تؤدي أداها في هذا المقصد الذي لا مقصد لنا غيره. وهي قد تكبر أو تصغر فلا يهمنا منها الكبير أو الصغير، إلا بذلك المقدار. ولعل حادثاً صغيراً يستحق منا التقديم على أكبر الحوادث إذا كانت فيه دلالة نفسية أكبر من دلالاته، وغمّة مصورة أظهر من غمته. بل لعل كلمة من الكلمات الموجزة التي نجى عرضاً في بعض المناسبات تتقدم لهذه السبب على الحوادث كبيرها وصغيرها في مقياس التاريخ^(٢٩).

ويخرج المؤلف من ذلك إلى الحديث عن أوصافه العظيمة، ويستعرضها جسمية وخلقية، كلها تدل على عظمة الرجل.

ثم ما هو مفتاح شخصية أبي بكر؟.. فكل شخص له مفتاح شخصية كما أن البيت له

مفتاح. ومفتاح شخصية أي بكر الإعجاب بالبطولة ولهذا المفتاح دلالة^(٣٠). وهذا الإعجاب بالبطولة هو الرسم الذي يتسم به كل عمل من أعمال أي بكر وكل نية من نياته، وهو السر الذي نراه كامناً في كل رأي برتكيه، وكل قرار حاسم يستقر عليه.. هذا هو مفتاح شخصيته الذي به استطاع أن يفتح مغاليق نفسه ودخائلها^(٣١).

يقول العقاد: إن مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التي تفتح لنا أبوابها، وتنفذ بنا وراء أسوارها وجدرانها. وهو مفتاح البيت في كثير من المشابه والأغراض. فيكون البيت كالحصن المغلق ما لم تكن معك هذه الأداة الصغيرة التي قد تحملها في أصغر جيب، فإذا عاجلته بها فلا حصن ولا إغلاق. وليس مفتاح البيت وصفاً ولا تمثيلاً لمشكله واتساعه.. وكذلك مفتاح الشخصية ليس بوصف لها، ولا بتمثيل لخصائصها ومزاياها، ولكنه أداة تنفذ بك إلى دخالها ولا تزيد^(٣٢).

ولكل شخصية إنسانية مفتاح صادق يسهل الوصول إليه، أو يصعب على حسب اختلاف الشخصيات، وهنا أيضاً مقارنة في الشكل والغرض من مفاتيح البيوت.. فرب بيت شاخ عليه باب مكين يعالجه مفتاح صغير، ورب بيت ضئيل عليه باب مزعزع يحار فيه كل مفتاح.. فليست السهولة والصعوبة هنا معلقتين بالكبر والصغر، ولا بالحسن والدمامة ولا بالفضيلة والنقيصة فرب شخصية عظيمة سهلة المفتاح، ورب شخصية هزيلة ومفتاحها خفي أو عسر^(٣٣).. فشخصية الصديق لها مفتاح قريب المتناول، وهو هذا المفتاح، مفتاح الإعجاب بالبطولة.. وهذا الإعجاب بالبطولة هو الرسم الذي يتسم به كل عمل من أعماله، وكل نية من نياته.. وهو السر الذي نراه كامناً في كل رأي برتكيه وكل قرار حاسم يستقر عليه^(٣٤).

والإعجاب بالبطولة في التاريخ الإنساني شيء عظيم.. ليس بعد البطولة منزلة يشرف بها الإنسان أشرف من منزلة الإعجاب بها، والركون إليها، لأن الفضيلتين معاً لازمتان جنباً إلى جنب في كل أمر جليل، ثم في تاريخ الإنسان، وكل طور من أطوار التقدم ارتقى إليه.. وليقل أصحاب التحليل العلمي ما يشاءون وليقل أصحاب القياس المنطقي ما يحبون فشاءوا أو لم يشاءوا، وأحبوا أو لم يحبوا.. لقد تم بغير التحليل العلمي، وبغير القياس المنطقي كثير من العظام في تاريخ الإنسان.

و لم يتم قط ولن يتم — فيما نرى — أمر عظيم واحد بغير البطولة، وبغير الإعجاب بالأيصال.

لها برهانها من الواقع كبرهان الأقيسة المنطقية والتجارب العلمية، فالرجل الذي ينهض له البرهان النفساني على الثقة ببطل من الأبطال، فيثق به، ويعينه على عمله ليس بالرجل الذاهب على غير هدى، أو الآخذ بغير دليل، كلا.. فعمله ونتيجة عمله كلاهما برهان يغنيه عن مصنع التحليل وعن قضايا المنطق. ويغني العالم كذلك عنهما إذا نظرنا إلى العمل، ثم نظرنا إلى النتيجة ونظرنا قبل هذا وبعد هذا إلى طبائع الإنسان^(٣٢).. ولقد كان أبوبكر رجلاً كريماً أليفاً من أهل الخير والمودة، فلا جرم كان الإعجاب بالبطولة طبعاً متأصلاً فيه مقروناً بكل ما في الإعجاب من حب، وثقة، وإيمان، ولا جرم كان هذا الإعجاب مفتاحاً لشخصيته، مفسراً لكل ما يلبس من أعمال، مجزئاً لكل ما يتشابه بينه وبين غيره من الصفات^(٣٣).

ويعقد العقاد مقارنة بين أبي بكر وعمر.. أبوبكر عظيم وعمر عظيم ولكن لكل منهما صورته التي تتميز بها.. عجباً أن يكون الرجلان العظيمان متقابلين.. وأن يتميز الرجل العظيم من بين نظرائه. وهذا يتوقف على قدرة العقاد الفائقة على إبراز، هذين المثليين العظيمين، كل في صورته وعظمته، ولم يقل إلا ما هو حق وصدق.

يقول العقاد تحت عنوان: نموذجان المتقابلان في الملكات والأخلاق ظاهرة معهودة في كل أمة، ولا سيما خلال النهضة التي تبرز فيها كوامن الملكات، وتتمحن فيها حقائق الأخلاق. وعهد التاريخ بها في شئون الضمير كعهدها بها في شئون المعرفة والحكمة في شئون السياسة والتشريع، أو في كل شأن له أثر يثيق في أعمال الناس.. فاصطالح النقاد على تسمية هذين النموذجين في المعرفة والحكمة بالنموذج الأفلاطوني نسبة إلى أفلاطون، والنموذج الأرسطي نسبة إلى أرسطاطاليس أو النموذج الذي يتمثل في النظريات ويتعلق بما وراء الطبيعة. والنموذج الذي يتمثل في التجربة والمشاهدة، ويتعلق بالطبيعة وظواهرها المحسوسة.. وفي الأدب والفن يوجد المثاليون عُشاق المثل الأعلى، والواقعيون، طلاب الواقع الذين يأخذون الدنيا كما هي ويصفون الناس على ما هم عليه.. وفي السياسة محافظون ومجددون وفي التشريع حريون ومعنويون، وفي العقيدة أو فقه العقيدة مقتدون ومجتهدون، وفي ميول الناس ومشايهم عاطفيون وعقليون، وأصحاب أثر أو أصحاب إثارة.. وليس المقصود بالنموذجين المتقابلين هنا تقابل الضدين اللذين يتناقضان كما يتناقض الصواب والخطأ، والخير والشر، والعلم والجهل، والهدى والضلال.

ولكن المقصود — كما يقول العقاد — هو التقابل الذي يتم فريقاً بمزايها فريق، ويميد قوة نافعة بقوة أخرى تكافئها، ويزدوج في عناصر الأمة كما يزدوج الجناحان اللذان يستقل بهما الطائر، ولا يستقل بفرد جناح.. هذان النموذجان معهودان لازمان. معهودان على الخصوص حيثما نهضت أمة من الأمم بجميع قواها، وجميع مزاياها، وجميع ما فيها من عدد الأهبة والمحيط، وبواعث الإقدام والإحجام.

ولازمان في النهضات على الخصوص حيثما تقدمت النهضة في طريقها واحتجب عنها إمامها وهادياها. وأصبح لازماً بعده أن تتقابل القوى وتتعاون الجهود.

ومن تمام الدعوة المحمدية أنها كشفت هذه المحاذج المتقابلة في الأمة العربية بين عشية وضحاها. فإذا الأمة العربية كلها كأنما هي حشد مستعد بكل عدة، متزود بكل زاد.. ظهر فيها أقطاب الشجاعة، وأقطاب الدماء، وظهر فيها المقدمون والمتحذرون، وظهر فيها الخيالون والعمليون، وظهر فيها كل طرف وما يقابله من طرف يوازنه ويستند إليه.

وبين هذه المحاذج كلها نموذجان من الطراز الأول، يوشك أن يجتمع فيها كل ما تفرق في غيرها من الملكات والشمائل والميول.. نموذجان كبيران تغيب في أطوائهما جميع المحاذج الصغار.. وهما نموذج الصديق ونموذج الفاروق^(٣٧).

ويمضي العقاد بفكره الفلسفي العتيد.. فيقول: بين هذين الرجلين العظيمين تقابل كثير الشعب، متعدد الأنحاء. تقابل ينتهي إلى التجاذب والأخاء، ولا ينتهي إلى التدافع والتفار، كانا يحومان معاً في نطاق كوكب واحد، أو نظام كوكبي واحد، كما تحوم السيارات والأقمار حول شمس واحدة، هي لها جميعاً مركزاً أصيل لا تنفصل عنه.

وربما دخل في وجوه التقابل بين هذين الرجلين العظيمين أكثر ما أجهلناه من الفوارق التي تختلف بها نماذج الناس، العقل والعاطفة والحفاظة والتجديد والواقع والمثل الأعلى، وما لا يحصى من الألوان والشيئات والأطراف والحدود..

ولكنها على تعددها واختلافها فوارق متناسبة متوافقة تقبل التخليص من فارق واحد بطوبها من معظم نواحيها، وهو الفارق بين نموذج الاقتداء ونموذج الاجتهاد. كان أبو بكر نموذج الاقتداء في صدر الإسلام غير مدافع.. وكان عمر في تلك الفترة نموذج الاجتهاد دون مرء^(٣٨).

وهكذا تتجلى فلسفة العقاد في رسم الصورة النفسية التي تجلو الملكات والأخلاق، وبيعاً الأعمال، ويحس العقاد بما يخامر بعض النفوس إزاء حالة الجلال التي يحيط بها صور هؤلاء الرجال، فيقرر: ومن هنا أن تكون الصورة صادقة كل الصدق في جعلتها وتفصيلها.. فليس من غرضنا التجميل الذي يخرج بالصورة عن حقيقتها، ولنا نريد أن يطلع القارئ على تلك الصورة فلا يعرفها ولا يعرف أبا بكر منها.. ولكن تجميل الصورة شيء، وتوفير صاحبها شيء آخر. فإنك إذا صورت أبا بكر ورفعت صورته مكاناً عالياً لم تكن قد أضفت إليه جمالاً غير جماله، أو غيرت ملامحه النفسية بحيث تخفى على من يعرفها، فهذا هو التوفير الذي لا يخل بالصورة ولا يعاب على المصور، وليس هو التجميل المصطنع الذي يضل الناظر عن الحقيقة.. فكل فضيلة أثبتناها لأي بكر في هذه الصفحات فهي فضيلته لانزاع فيها. وكل عمل استطاعه ووصفناه بقدرته فقد استطاعه بغير جدال، وما من عمل لم يعملها قلنا إنه قد عمله، ولا من قدرة لم تظهر منه جعلناها من صنوف قدرته، ثم يتوسم القارئ بعد هذا فيرى صورة مميزة بين صور العظماء من أمثاله فهو محمود موقر، وعمر بن الخطاب في صورته محمود موقر، ولكنهما مع ذلك لا يتشابهان، ولا يتراءى أحدهما في ملامح الآخر، وهذا قصارك من صدق الصورة في تمييز الرجل بين نظرائه وفي تمثيله بما فيه وما ليس فيه.^(٢٩)

وقد مضى العقاد بحسب مثالية أبي بكر الخلقية، وما امتاز به من الإلفة وحسن العشرة والتواضع، ولين الجانب، ومروءته وصدقه، حتى شئى الصديق، نعتاً اختص به، مع حدة المزاج وشدة الذكاء، وصفاء الروح، والطموح إلى المثل الأعلى، وما زال يرسم ملامح شخصيته ويدرسها حتى وقف على مفتاحها الدقيق. وهو الإعجاب بالبطولة. وهو إعجاب جعله أول المقتدين بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأول المهتدين به عن وعي صادق، وإيمان عميق.^(٣٠)

وحين يتناول العقاد بالدواصة شخصية عمر، فلا يدوس فيه الخليفة الذي هزم القياصرة والأكامسة. وإنما يدوس شخصيته الإنسانية العظيمة بسلاقتها النفسية، وأخلاقها العليا الممتازة.. شخصية تجمع القوة والعدل والرحمة والحزم والتضحية والحصافة وسداد الرأي والغيرة على الحق والاستقامة.^(٣١)

وهذا الكتاب «عقريه عمر» يرتبط بظروف معينة مر بها العقاد وذلك حين امتلأت الدنيا، بأن الألمان سيدخلون مصر بعد هزيمة الإنجليز في العلمين، ولما كان العقاد قد كتب

عن النازية «هتلر» كتاباً هو «هتلر في الميزان» لم يتعلق فيه الازية أو زعيمها، وإنما قال كلمة الحق. لذلك كان من أعدى أعداء النازيين.. وهنا اقترح الأصدقاء على العقاد أن يترك البلاد فسافر إلى السودان. وكان وقتها مستمراً في دواصة مادة هذا الكتاب، وقد أشار من بعيد إلى هذه الواقعة^(١٢) وذلك في المقدمة التي جاءت في عبقرية عمر حيث يقول: «ثم تأليف هذا الكتاب في أحوال عجيبة، هي أحوال بأس وخطر، فلا غرابة بينها وبين موضوع الكتاب الذي أدوته عليه، لأننا لا نتكلم عن عمر بن الخطاب إلا وجدنا أننا على مقربة من البأس ومن الخطر في آن «فما شرعت في تحضيره وبدأت في الصفحات الأولى منه حتى رأيتني على سفر بغير أهمية إلى السودان، فوصلت إليه وليس معي من مراجع الكتاب إلا القليل»^(١٣).

وبين العقاد الغرض من تأليف كتاب «عبقرية عمر» فيقول: وكتاني هذا ليس بسيرة لعمر، ولا بتاريخ لعصره، على نمط التواريخ التي تفصّل بها الحوادث والأنباء، لكنه وصف له ودراسة لأشواره، ودلالة على خصائص عظمته، واستفادة من الخصائص لعلم النفس، وعلم الأخلاق وحقائق الحياة. فلا قيمة للحدّات التاريخي جل أو دق إلا من حيث أناد في هذه الدراسة^(١٤).

وما زال العقاد يدرس خصاله الرفيعة حتى عمر على مفتاح شخصيته الذي فتح به مغاليقها، وهو طبيعة «الجندي» في صفاتها المثل من الشجاعة، والحزم والصراحة والخشونة، والغيرة على الشرف، والنجدة والنخوة، والنظام، والطاعة وتقدير الواجب والإيمان بالحق، وحب الإنجاز في حدود التبعات والمسئوليات. وما أن عمر على هذا المفتاح حتى انكشفت له شخصية عمر بجميع أعمامها وعلاقاتها، ووجوه عظمتها^(١٥)..

وتحت عنوان «عبقري» في كتاب «عبقرية عمر» يقول العقاد بعد أن سجل حديثاً للرسول صلى الله عليه وسلم: «لم أر عبقرياً يفري فرية»^(١٦) كلمة فافها النبي عليه السلام في عمر رضي الله عنه، وهي كلمة لا يقوها إلا عظيم عظماء، تخلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال. فمن علامات العظمة التي تحمي موات الأمم، أن تختص بقدرتين لا تعهدان في غيرها. أولاهما: أن تنبثق كوامن الحياة، ودوافع العمل في الأمة بأسرها وفي رجالها الصالحين خدمتها.. والأخرى أن تنفذ بصيرتها إلى أعماق النفوس، فتعرف بالبدية الصائبة، والوحي الصادق،

فيم تكون عظمة العظيم، ولأي المواقف يصلح، وبأي الأعمال يضطلع، ومتى يحين أوانه، وتجب نديته^(٤٧) ومتى ينبغي التريث في أمره إلى حين. كلتا القدرتين كان لهما الخط الوافر في سيرة عمر بن الخطاب^(٤٨).

إن عمر شخصية بارزة في تاريخ الإسلام، وله مثله المتميز من بين عظماء الإسلام وعباقرته، جنح العقيدة في كل صفاته فهو الممتاز بعمله، الممتاز بتكوينه.

وإن عمر هو رجل المناسبة في كل عصر. حيث زعم عباد القوة الطاغية.. أن اليأس والحق لا يجتمعان.. ونحن إذا عرفنا رجلاً كعمر هدمنا كل مزعمهم لأنه جمع ذلك. كان غاية في اليأس، وغاية في الرحمة، وغاية في العدل.. جمع القوة، والشدّة، والحشونة إلى جانب اللين والرحمة^(٤٩). أي رجل كان هذا الرجل؟ وأي عدل كان عدله؟..

وملاح العقيدة من جميع نواحيها التفت في الإمام علي كرم الله وجهه، حيث امتزجت العاطفة في مصرعه بخيال الشجاعة في بطولته، كما التقى سمو الفكر فيه برهافة الحس عنده.. وفي وسط هذا الطريق الشائك يبحث العقاد عن مفتاح لشخصية الإمام علي، وسرعان ما يعثر عليه.. فيقول تحت عنوان «مفتاح شخصيته» في كتابه «عقيدة علي» آداب الفروسية، هي مفتاح هذه الشخصية النبيلة، الذي يقصد منها كل مغلّق، ويفسر منها كل ما احتاج إلى تفسير.. وآداب الفروسية هي تلك الآداب التي نلخصها في كلمة واحدة وهي: النخوة^(٥٠).

وقد كانت النخوة طبعاً في علي فطر عليه، وأدباً من آداب الأسرة الهاشمية نشأ فيه وعادة من عادات «الفروسية» العملية التي يتعودها كل فارس شجاع متغلب على الأقران، وإن لم يطبع عليها، وينشأ في حجرها، لأن الغلبة في الشجاع أنه تأتى عليه أن يسف إلى ما يحمله ويشينه، ولا تزال به حتى تعلمه النخوة تعليماً، وتمنعه أن يعمل في السر ما يزرى في العلانية.. وهكذا كان علي رضي الله عنه في جميع أحواله وأعماله: بلغت به نخوة الفروسية غايتها المثلى، ولا سيما في معاملة الضعفاء من الرجال والنساء، فلم ينسى الشرف قط ليغتنم الفرصة، ولم يساوره الريب قط في الشرف^(٥١).

وفي عقيدة خالد، بصورها لنا العقاد العقيدة الحربية المظفرة، وما امتازت به من صفات القائد العظيم المقطور على النضال والشجاعة والجلد واليقظة وحضور البديهة وسرعة الملاحظة،

وقوة التأثير، ووضوح الخطط عند الحاجة إليها، في موضعها الدقيق ويظل يتفرس جوانب شخصيته إلى أن يثمر على مفتاحها وهو سليفته كجندي، وهو نفس سليفه عمر بن الخطاب. الإثنان مفتاح شخصيتهما الجندي^(٢٥).. يقول العقاد.

وبلوح لمن يقرأ سيرة الرجلين أن الشبه بينهما يتعدى الملامح والقامة، إلى معالم الشخصية، وطباع القوة النفسية، فكلاهما يجوز أن يقال فيه أنه «جندي» بالفطرة وأن مفتاح شخصيته هو السليفه الجندي، فإذا أحضرنا في أخلادنا كلمة «الجندي» أو الجندي المطبوع لم نجد في ابن الخطاب ولا في ابن الوليد صفة لا تحتويها هذه الكلمة في معنى من معانيها.. وبين الرجلين فارق لا يخفى به في الخلق والتفكير، لكنه فارق لا يخرج بهما من نطاق هذه الطبيعة، فكلاهما جندي مطبوع على الخلق الجندي ولكن ابن الخطاب تغلب عليه من مزاج الجندي، ناحيته الروحية، أو ناحية الضمير، وابن الوليد تغلب عليه من هذا المزاج نفسه ناحية الحيوية أو ناحية البيان والتركيب.. وأصح من هذا أن نقول إن عمر كان جندياً في أخلافه الوازنة الحاكمة، وأن خالداً كان جندياً في أخلافه الدافعة الهاجمة^(٢٦).. فهما جميعاً جنديان مثاليان ولكنهما يختلفان في النفسية والأخلاق^(٢٧).. فارق بين نفسيين، أو بين رجلين، أو بين شخصين، أو بين وسطين اجتماعيين^(٢٨)..

ومضي العقاد في تحليل شخصية هذا البطل الذي بلغ القمة التي لا مرتقى بعدها لراق بالنصر الساحق في المعارك التي خاضها وكان فيها سيف الله المسلول على أعدائه. وقد ذكر العقاد لكل عبقري من السلف في كتاباته عنهم في عبقريات «مفتاح شخصية» يعرف بها الرجل أو أنها نعم معظم صفاته.

ويقول الأستاذ الدكتور عبد المعطي يومى في رسالته للدكتوراه «تجديد الفكر الإسلامى في العصر الحديث»: وميزة العقاد في هذه العبقريات أنه قدم للإنسانية وللغرب خاصة رجال الإسلام بأسلوب العصر، وأسلوب الغرب ذاته، في تناول الأبطال، ووزنهم بالميزان النفسى أو السيكولوجى، فلقد درس العقاد تاريخ هؤلاء الرجال، ثم أعمل عقله من أجل الوصول إلى ميزان يجمع بين أعمال الرجل باحثاً عن مفتاح واحد للشخصية، ولما يصدر عنها من أعمال^(٢٩)..

ومضى الدكتور عبد المعطي في قوله: وقد كان هذا الأسلوب جديداً بلا شك قدم به

العقاد في وضوح ثروته في العظمة الإنسانية، وفي وقت كانت الحضارة الغربية بمؤسساتها الاستشرافية والتبشيرية، مهاجم رجال الإسلام، وتبرز أبطال الإنسانية الآخرين^(٥٧).

فالعقاد قد استن سنة في كتابته عن أشهر العقريات الإسلامية، وهي أنه يسجل مواقف هذه العقريات دون استناد إلى شواهد من القرآن. فهو يريد أن يتقدم بكتبه عن الشخصيات الإسلامية إلى كل إنسان، وإلى أي إنسان في الأسلوب الذي يقبله العقل ولا يرفضه المنطق. ولا يأخذ العقاد دليلاً من القرآن على صدق ما يقوله عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما يود أن يطلع عليه أي إنسان فيسلم بما فيه لسبب آخر غير كونه من أبناء المسلمين المؤمنين بكتاب الله، إنه يخاطب القارئ من أي دين، ومن أي فئة^(٥٨).

وإنه لنافع للمسلم أن يقدر «محمدًا» بالشواهد والبيئات التي يراها غير المسلم فلا يسمعه إلا أن يقدرها، ويجري على مجراها فيها، لأن مسلماً يقدر محمدًا على هذا النحو يحب محمدًا مرتين. مرة بحكم دينه الذي لا يشاركه فيه غيره، ومرة بحكم الشرائع الإنسانية التي يشترك فيها جميع الناس، وحسبنا من عبقرية محمد أن نقيم البرهان على أن محمدًا عظيم في كل ميزان.. عظيم في ميزان الدين، وعظيم في ميزان العلم، وعظيم في ميزان الشعور، وعظيم عند من يختلفون في العقائد، ولا يسمعون أن يختلفوا في الطوائف الآدمية^(٥٩).

فالعقاد لم يستشهد بكتاب الله في توضيحه للمواقف المحمدية، لأنه أراد أن يعالج الموضوع على مستوى إنساني عام..

والعقاد في كتابته عن العقريات الإسلامية، يريد أن يقول: إن العلم يختلف عن الفلسفة، وأن الفلسفة تختلف عن الدين ولكل من الدين والعلم والفلسفة مقاييس خاصة لا تختلط بمقاييس سواه وإذا حكمت مقاييس العلم عند نظرك في أمر الدين، تبينت لك فيه أخطاء جسام. وإذا رجعت إلى مقاييس الدين في نظرك إلى مبادئ الفلسفة وجدتها لغواً وعبثاً. وهناك أمور لا مرجع فيها لغير القيم الوجدانية، ومثل ذلك موضوعات الجمال، والحب، والأخلاق المثل^(٦٠). ونظرة العقاد هذه نظرة فلسفية عميقة.. ونظرة العقاد في كتابته للسر إنسانية محضة، وعندما يحاول استشفاف شخصية صاحب السيرة، يعمد إلى تسليط الأضواء الإنسانية على جميع جوانبه، حتى يرى عنصر الأصالة في روحه وعبقريته، ولا غرابة في اختصاص العقاد بكتابة العقريات. بل ربما كانت العقريات أصلح الأعمال وأكثرها ملاءمة لطبيعته الحساسة

المتفتحة على عوالم الشعور والفكر..

ويقول الدكتور عبد المعطي بيومي: ولا يقلل من قيمة العبقريات ما هاجمها به بعض الكتاب حين صدورهما، وحتى الآن. نذكر منهم غازي التوبة حيث أشار إلى أن العقاد أقام الحديث في العبقريات على أن مكونات الشخصية هي المعدن الممتاز لهذه الشخصية ووحى ملكاتها الممتازة أولاً، مع إن مكونات الشخصية هي الإسلام أولاً.. يقول «أيهما له الفضل في توجيه أي بكر وعمر رضي الله عنهما أولاً.. أوحى ملكاتهما الممتازة؟ أم وحي عقيدة الإسلام؟ العقاد يقول: وحي ملكاتهما الممتازة بوجه أولاً..

نحن نقول، أو حقيقة الأمر نقول: وحي عقيدة الإسلام بوجه أولاً^(٦١)، وتوضح الدراسة بأنه لا مجال للمقارنة بين «الشهاقة» في أعجز قمة بشرية وأميزها وبين الشهاقة في قمتي أي بكر وعمر «فلا يكفي امتياز المعدن — لتفسير هاتين القمتين الفريدتين أو بشكل أدق لتفسير الإعجاز فيهما..

يجذب أبصارنا — مباشرة — بناء العقيدة الإسلامية الذي يتلاءم مع الفطرة ويلي حاجتها، وينسق موهبها، وينمي أجزائها، ويجذب أبصارنا هذا البناء، وقد ملأ ذات ابن الخطاب، وليس كيانها، والتحم به، وتغلغل في كل ذرة منه، وسرى فيه مسرى الدم.. يقرع أسماعنا — مباشرة — صوت المرئي العظيم محمد عليه الصلاة والسلام متحدثاً عن صاحبيه في فهم عميق لأبعاد نفسيهما، كأحسن ما يدرك المرئي مادة تربيته.

ثلاثة معادن مجتمعة تفسر الإعجاز في شخصيتي أي بكر وعمر رضي الله عنهما، المعدن الممتاز. العقيدة الإسلامية الإلهية. المرئي العظيم محمد عليه الصلاة والسلام. ولو تناولنا أية صفة بارزة في شخصيتي أي بكر وعمر لوجدنا سمات العناصر الثلاثة واضحة في جلالها وإخراجها، العقيدة الإسلامية تعطينا بُعداً معيماً في الطول والعرض والارتفاع، وبدا محمد عليه الصلاة والسلام تعرسها في موضعها، وتصلقها وترعاها على الزمن^(٦٢).

والدكتور عبد المعطي بيومي بعد أن عرض رأي العقاد، ووجهة نظر الأستاذ غازي التوبة قال: ولكننا نشعر بصواب رأي العقاد: إن المعدن النفيس للشخصية لدى أي بكر وعمر وغيرها من أصحاب العبقريات كان أولاً. ثم جاء الإسلام بعد ذلك فأضفى على هذا المعدن العبقري..

ويذكر الدكتور عبد المعطي بيومي دليلاً على شعوره بصواب رأي العقاد فيقول:
إن تفاوت الصحابة رضوان الله عليهم شيء ثابت مع أنهم كانوا جميعاً قمماً عالية في
الإنسانية المؤمنة الصادقة، فمن أين جاء هذا التفاوت إذن؟

لو قلنا بأن العامل الأول في تكوين الشخصية وتوجيهها هو الإسلام، لما كان ذلك تفسيراً
معقولاً لهذا التفاوت. ولكن التفسير المعقول بأن الإسلام يصادف معدناً ممتازاً فيصفو به هذا
المعدن من أوشاب الجاهلية، وتشحذ به كل المواهب والإمكانات، ويصادف الإسلام معدناً
أقل امتيازاً فيأخذ هذا المعدن من الإسلام على قدر المعدن أولاً، ثم الإسلام، وتربية الرسول
صلى الله عليه وسلم^(٦٣).

ويضيف الدكتور عبد المعطي قائلاً: على أن العقاد لا يبحث شخصيات العبقريات بمعزل
عن الإسلام، ولا يبحث عبقرية الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم بمعزل عن النبوة، بل
عنده: إن العبقرية هي «مزيج من المواهب الشخصية والنبوة عند الرسول، ومزيج من المعدن
والإسلام عند عباقرة الإسلام الآخرين».

يقول العقاد في مقدمة المقدمات «في مطلع النور»: جاء محمد بدين الإنسانية في أمة العصبية،
جاء ينكر كل إله غير الواحد الأحد، في عالم يؤمن بكل إله غير الواحد الأحد، أو يؤمن
به كأنه صنم من الأصنام يتعدد في كل بيعة وكل مقام. أحمد وحده يقدر على ذلك؟ أحمد
يقدر عليه بعناية الله؟ أدق القولين إلى عقل العاقل أدناهما إلى الإيمان، وأناهما عن الصواب،
آناهما عن الله. ولولا تدبير من الله لما ادخرت جزيرة العرب لهذه الرسالة، لتخرج بالتاريخ
الإنساني كله إلى عالم جديد^(٦٤).

وبعد أن يسجل الدكتور عبد المعطي بيومي النص السابق ليؤكد صواب ما اتجه إليه
الفيلسوف الكبير العقاد، يمضي في تفنيد وجهة أخرى ذهب إليها غازي التوبة.. يقول الدكتور
عبد المعطي: وليس أبعد عن الحق، ما يقوله غازي التوبة: من أن العقاد كتب العبقريات ليطعن
على تنظيمات الأخوان المسلمين، فبينما يصرح العقاد أنه كتب عبقرياته لأن: «إيتاء العظمة
حقها لازم في كل أونة. وبين كل قبيل.. ولكنه في هذا الزمن، وفي عالمنا هذا أكرّم منه في
أزمنة أخرى، لسببين متقاربين، لا لسبب واحد.. أحدهما: أن العالم اليوم أحوج مما كان إلى
المصلحين النافعين لشعوبهم وللشعوب كافة، ولن يتاح لمصلح أن يهدي قومه وهو مغموط

الحق، معرض للجفوة والنكود.. والسبب الآخر: أن الناس قد اجترأوا على العظمة في زماننا بقدر حاجتهم إلى هدايتها فإن شيوع الحقوق العامة قد أغرى أناساً من صغار النفوس بإنكار الحقوق الخاصة، حقوق العلية النادرين الذين يتصفهم التمييز، وتظلمهم المساواة. والمساواة هي شرعة السواد الغالبة في العصر الحديث^(٦٥)..

ومن هنا بدت العظمة في حاجة إلى رد اعتبار، فقام العقاد بكتابة العبريات ليؤكد في وضوح: أن العبرية قيمة في النفس قبل أن تبرزها الأعمال، ويكتب لها التوفيق، وهي وحدها قيمة بغالي بها التفويم. فإذا رجح بمحمد ميزان العبرية وميزان العمل، وميزان العقيدة، فهو نبي عظيم، وبطل عظيم، وإنسان عظيم وحسبنا من كتابنا هذا أن يكون بنائاً توميء إلى تلك العظمة في آفاقها^(٦٦)..

وإذا كان هذا هو الدافع الأصيل لكتابة العبريات. فإن الأستاذ غازي التوبة يقول: «إن العقاد كتب العبريات دفاعاً عن إيمانه بالفرد وبالنظام الديمقراطي الذي هدده — كما يقول الأستاذ غازي — ثلاثة أخطار، هي: الفاشستية، والشيوعية، والمذ الإسلامى. وقد دافع — العقاد — عنه في وجه الأخطار الثلاثة. فتصدى للفاشستية وكتب «هتلر في الميزان»^(٦٧) وتصدى للشيوعية، ورد عليها في مقالات متعددة، وألف «الشيوعية والإنسانية»^(٦٨). و«أفيون الشعوب المبادئ الهدامة»^(٦٩). إلخ أما تيار المذ الإسلامى، فقد حاربه بسلحه وبشخصياته، فكذب العبريات يؤكد صحة أفكاره في أولوية الفرد في التاريخ، وأحقته كمحرك له، وليطعن في جدوى تنظيمات المذ الإسلامى الجماعية، المتمثلة في الأخوان المسلمين، وبشوه إيمانهم بهذا الجانب الجماعى من الإسلام وبشككهم في دور العقائد والتربية في توجيه الأشخاص، فالعظيم بفطرته، والعبري عبقرى بنشأته»^(٧٠).

وأقول — والكلام للدكتور عبد المعطي بيومي — إن العقاد بما عرف عنه، لو أراد محاربة الاخوان المسلمين لخاربهم بصراحة دون هذا الاكثواء والدوران، فلم هذه الحساسية المفرطة؟.. مع أن العبريات لا تحتوي على إشارة واحدة تغض من قيمة هذه الجماعة على الإطلاق، ولا من قيمة الجماعة في مقابلة الفرد في الإسلام، فليس معنى إعطاء هؤلاء العظماء حقهم، إنه يغض من قدر الجماعة التي نتوا فيها، أو الجماعة الإسلامية بوجه عام ثم إذا كان غرض العقاد في عبرياته إثباته :

إن العظيم بنشأته، فإن عظماء الإسلام إنما هم عظماء بنشأته التي يشكل الإسلام أساسها، فلم نعتبر النشأة مستقلة عن الإسلام، ولا يمكن فصلها عنه^(٧٧)..

لقد تسلمنا من العقاد الإسلام وقد تبينت شخصياته وشخصه واتضحت معالم أبطاله، وملاح رجاله، واستوت أدوات التحصيل لعناصره وبذوره وموحياته..

والأستاذ غازي التوبة لم يقف عند هذا الحد، بل نراه يحاول أن يوجه إلى العقاد تهمة الابتعاد عن الحقائق في كتاب «عقيدة محمد» وبيني إن الأستاذ غازي التوبة لم يقرأ كتاب «عقيدة محمد» قراءة واعية، ولو أنعم النظر قليلاً وتبصر في مقدمة الكتاب التي وضعها العقاد للعقلاء، لما ورد اتهامه.. وحتى لا يتهمني أحد بالتجني ولا أكون مجانباً للصواب، أضع أمام البحث ما قاله الأستاذ غازي التوبة ثم نأتي بما جاء في مقدمة كتاب «عقيدة محمد» ونحن ما نريد إلا الصواب ووجه الحقيقة، يقول غازي التوبة: «عرض العقاد لجوانب متعددة من عقيدة الرسول ونحن نقرر منذ البداية حقيقة أساسية هي أن الرسول كان إنساناً ممتازاً منذ الجاهلية، ممتازاً بكفاءته وإمكاناته ومواهبه الفطرية لكن العقاد يبتعد عن الحقيقة حيناً يرجع لنجاح محمد جندياً، وقائداً ومديراً، وزوجاً، وأباً إلخ إلى امتيازاته الذاتي، وإلى مواهبه الفطرية^(٧٨) كان الرسول عليه الصلاة والسلام حازماً عازماً لأن الإسلام نُمي إرادته بالصيام والقيام. شجاعة، إقدام، ثبات، تضحية، صبر، حزم، عزم إلخ هذه الصفات المتناسقة الشاملة، تولدت من بحر الإسلام الزاخر، لكن لماذا تجاهل العقاد أمثال هذه السمات؟ لماذا أغفلهن في عقيدة محمد العسكرية مع أنهن من لوازم القتال.

تجاهلهن العقاد وأغفلهن لأنهن جئن من معين الإسلام الخالد وبطرق تربيته ومن خلال حقائقه، وهو قد أراد عقيدة الرسول العسكرية كعقريات البشر الآخرين فلتة من فلتات الطبيعة، منبئة الأصول، شاذة الأسباب، لا تتصل بما قبلها أو بعدها^(٧٩).. فصل العقاد بين الجانب المادي والجانب الروحي الغيبي في شخصية الرسول، وأظهره مجرد إنسان يعمل بمواهب نامية، وملكات متفتحة، وإحساسات متوفرة، ويعيش ضمن هذه المواهب والملكات والإحساسات^(٨٠).

هذه هي العبارات التي سطرها اتهامات غازي التوبة للكاتب الإسلامي الكبير عباس محمود العقاد، دون وجه حق، ولو تمنع غازي التوبة قليلاً فيما جاءت به أفكار العقاد، لاستراح،

وأراح.. قال العقاد في مقدمة كتابه «عقريه محمد»: واليوم ونحن نضع كتابنا هذا عن «عقريه محمد» بين يدي القراء نقول إننا التزمنا فيه الباعث الذي أوحى الاقتراح بتأليفه لأول مرة كأننا شرعنا في كتابته مساء ذلك اليوم فكيناه ونحن نستحضر في ذهن تيرئة المقام المحمدي من تلك الأقاويل التي يلفظ بها الأغرار والجهلاء عن حذقة أو سوء نية.. وسيرى القارىء أن عقريه محمد عنوان يؤدي معناه في حدوده المقصودة ولا يتعداها. فليس الكتاب سيرة نبوية جديدة تضاف إلى السير العربية والإفرنجية التي حفلت بها المكتبة المحمدية حتى الآن. لأننا لم نقصد وقائع السيرة لذاتها في هذه الصفحات على اعتقادنا إن المجال متسع لعشرات من الأسفار في هذا الموضوع ثم لا يقال أنه استنفد كل الاستنفاد.. وليس الكتاب شرحاً للإسلام أو لبعض أحكامه، أو دفاعاً عنه، أو مجادلة لخصومه.. فهذه أغراض مستوفاة في مواطن شتى.. إنما الكتاب تقدير لعقريه محمد بالمقدار الذي يدين به كل إنسان، ولا يدين به المسلم وكفى، وبالحق الذي يثبت له الحب في قلب كل إنسان وليس في قلب كل مسلم وكفى، فمحمد هنا عظيم لأنه قدوة المقتدين في المناقب التي يتسناها المخلصون لجميع الناس، عظيم لأنه على خلق عظيم، ولهذا كان تقدير محمد بالقياس الذي يفهمه المعاصرون ويتساوى في إقراره المسلمون وغير المسلمين^(٧٨).

وقد وضع للباحث من عبارة العقاد أن الكتاب جاء بالمقدار الذي يدين به كل إنسان، ويتساوى في إقراره المسلمون وغير المسلمين، وهذا أنفع للإسلام وللمسلمين. وقد كان الكتاب رداً لأقاويل لفظ بها الأغرار والجهلاء. وما كان غير العقاد يستطيع للنصدي لتلك الحذقات، لأن العقاد ذو قلم جبار، وعقيلة فذة، غزت العقول بالعقل وأقنعت بالفكر..

وكتابات العقاد عن الشخصيات التي تناوها قلمه تنبئ عن قدرة العقاد على التجاوب مع إحساس الناس ومشاعرهم، بل يمكن أن نقول إن العقاد أقدر الناس على التعاطف مع الإنسان في عمومياته، وخصوصياته وهو من أبرع الناس في الالتقاء بالآخرين لقاءً مبنياً على مشاعر وجدانية مختلفة، وعلى تفاهم في السلوك وفي قيم الحياة..

فالعقاد من الرجال الذين يتعلقون بالقيم وينشدونها في حياتهم ويدعمونها بقدر ما يملكون من الوسائل والأدوات.. والزعة الإنسانية واضحة في تفكير العقاد وإعجابه بالتحصيل الإنسانية العالية لا يعلو عليه إعجاب^(٧٩)..

وفي تقديم العقاد لمعاوية بن أبي سفيان، فرّق العقاد بين القدرة والعظمة بين الشخصيات والعقربيات، فقال: «والفرق بين القدرة والعظمة يوضحه الاصطلاح ولا توضحه المعجمات اللغوية هذا التوضيح الذي نعيه فقد يقال عن العظيم أنه قدير ويقال عن القدير أنه عظيم ولا يخطئ القائل من الوجهة اللغوية في هذا الترادف ما لم يقبده الاصطلاح إنما الاصطلاح الذي نعيه وننظر فيه إلى أحوال الطباع إن القدرة غير العظمة في الأشياء»..

فربما وصف الرجل بالقدرة لأنه مقتدر على بلوغ مقاصده، واحتجاجة منافعه والأضرار بغيره، ولكنه إذا وصف بالعظمة، فإنما يوصف بها لفضل يقاس بالمقاييس الإنسانية العامة، وغير تغلب فيه نية العمل للآخرين على نية العمل للعامل وذويه^(٨٠)..

ومضى العقاد في توضيح الاصطلاح الذي به يظهر الفرق بين القدرة والعظمة فيقول: «ولعلنا تقترب من توضيح الاصطلاح إذا نقلنا التفرقة بين القدرة والعظمة إلى التقدير والتعظيم فنحن نقدر الإنسان بمقداره عظيمًا كان أم غير عظيم، بل نقدر الأشياء بمقاديرها، ولو لم يكن لها عمل، ولم تكن من وراء العمل نية، ولكننا إذا عظّمنا الإنسان فإنما نوجب له التعظيم علينا لأنه يعيننا ويستحق إكبارنا ويرتفع إلى المكانة التي تليحظها الإنسانية بأسرها، وتعود عليها في منافعها وخيراتها، فكل عظيم قدير ولكن ليس كل قدير عظيم.. والعظمة قدرة وزيادة أما القدرة فليس من اللازم أن تكون عظمة، فضلاً عن أن تكون عظمة زيادة، ومعاوية قدير ولا ريب»^(٨١).

وفي فلسفة دقيقة يحلل العقاد ما عناه من الفوارق بين اللفظين حيث إن معاوية اشتهر بالدهاء فهو من دهاء العرب. ولكن ما هو الدهاء؟ إن بعض الناس يحسب أن الدهاء هو الشجاعة أو الزيادة عليها وهذا الاعتقاد خطأ، فالدهاء هو نقص في الشجاعة، فالدهاية يحاول أن يغلب خصمه بمخادعته، وبوسائل وطرق وأمور عقلية ومادية، إلى غير ذلك من الأساليب التي تجعل الناس يقفون معه.. فكلمة الدهاء ما هي إلا تعزية وتغطية للخوف والجبن، لأنه وسائل غير صريحة يبلغ بها صاحبها مآربه، وينتهي بها إلى مقاصده، وبعبارة أخرى هو خداع وسلوك يصل بها الشخص بطريق غير مباشر إلى مقصده، ولكن هناك من يعتمد بدهائه على قدرة عقلية فائقة يستطيع بها أن يسخر الناس لخدمته، وهذا هو الدهاء من الطراز الأول،

وهناك الذي لا قدرة عقلية فائقة عنده ولكنه يعتمد على قدرة «مادية» يستخر الناس بأمواله
وبتسليمهم إلى هواه لنيل مطالبه^(٨٢).

ويقول العقاد : لقد كانوا يطلقون الدهاء على كل وسيلة «غير صريحة» يبلغ بها صاحبها
مأربه، وينتهي بها إلى منفعة، فكل حيلة «غير صحيحة» فهي دهاء على سواء... إلا أن الواقع
أن الوسائل «غير الصريحة» لا تنفخ في مصادرها العقلية فقد يعتمد الرجل في دهائه على قدرة
عقلية فائقة يتسلط بها على الناس فيسخرهم في مطامعه، ويقودهم كما يقاد المسخر «بالتنويم
المغناطيسي» لخدمته فيما يستفيدون منه أو فيما لا فائدة لهم فيه على الإطلاق... وقد يكون
فيه الضرر لهم كل الضرر وهم لا يفقهون، ويفشاهم السحر بغشاوته فلا يسمعون لما يقال
لهم غير ما يقوله ذلك الداهية، أو يوحيه إلى شعورهم بغير مقال، هذا هو الدهاء من الطراز
الأول، ويليه الدهاء الذي لا يعتمد على قدرة عقلية فائقة، ولكنه يعتمد على قدرة «مادية»
يستطيع بها صاحبها قضاء المصالح والتعامل مع غيره على أساس التبادل في المنفعة المعروفة التي
يفهمها المتبادلون جميعاً بغير حاجة إلى تفرير أو خداع أو إقناع، رجل يملك السلطان أو المال،
وأناس يحتاجون إلى سلطانه وماله، ولا يقدرّون على بلوغ تلك الحاجة من غيره، فلا هو
يخدعهم، ولا هم يخدعونه لأنهم كلهم يعرفون ما يطلبونه، ويعرفون وسيلتهم إليه، فلا خداع
فيهم ولا خدوع وإن لم يكونوا جميعاً صرحاء فيما يتوسلون به أو يتوسلون إليه^(٨٣).

من أي هذين الطرازين دهاء معاوية؟

أمن طراز القدرة العقلية الفائقة التي تسخر الأعوان، متقادين مستسلمين مغمضين الأبصار
والبصائر؟..

أم من طراز القدرة المادية التي تعطي وتأخذ ويعاملها طلاب الحاجات لأنهم يعرفون ما
يحتاجون إليه، ولا يعرفون طريقاً إلى حاجاتهم تلك غير هذا الطريق.

بأي الدهائين تمكن معاوية من اجتذاب عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وزيد بن
أبيه، وغيرهم من الدهاق، الذين سارت بدهائهم الأمثال في صدر الإسلام^(٨٤). إن دهاء
معاوية، ليس من دهاء القدرة العقلية الفائقة، ولكنه دهاء مادي، فدهاء معاوية من قبيل الدهاء
الذي يعول على قضاء المصالح وتبادل المنافع ويتساوى فيه دهاء الطرفين أو يكون الرجحان
من قبل الطرف الآخر. فليس دهاء معاوية من قبيل ذلك الدهاء الذي يسوق الأعوان سوقاً

إلى خدمة مقاصده بسلطان القدرة العقلية الحارقة، وغلبة الإقناع الذي لا برهان فيه على الحقيقة ولكنه ضرب من «التنويم المغناطيسي» تعمل فيه المشيتان بمشيئة واحدة^(٨٥)..

وبهذه النظرة الفلسفية حدد العقاد الفرق بين الشخصيات المقتدرة والعقريات العظيمة.. وهناك عبارة جاءت في كتاب «رأيت وسمعت» لمحمد كرد علي تزيدنا توضيحاً لما يعنيه العقاد من قوله: هذه شخصية، وتلك عقيرة، يقول العقاد في هذا الكتاب: انطلق قلبي، وعقلي، وفكري وأنا أقف في الجانب المعارض للجاء، والسلطان والجبروت.. الملك فؤاد سجنني تسعة أشهر وغيره أقام عليّ النكمر والدعاوي المختلفة ولكني لم أذعن رغم كل ذلك لرغبات السياسة ولقد أخذت من التاريخ أمثلة أولها أن علي بن أبي طالب لو كان وصولياً لانتفى في يوم مؤتة، ولو كان الحسين بن علي لم يسبق أجله بعشر سنين أي لم يبع ما تبقى له من العمر بذلك الاستشهاد، لما ربح هذا الخلود العظيم هو وأبوه من قبله وأبنائه الذين درجوا على بساطه الأحمر. قال لي مرة الأستاذ محمد علي كرد: لماذا لم تكتب لنا كتاباً عن معاوية كما كتبت عن علي؟ فأجبت أنه أعرف إنك وصولي مع الأحياء، ولكنني لا أعرف إنك وصولي حتى مع الأموات، إن صاحبك معاوية أراد الدنيا وأراد منها أن يكون ملكاً فكان ثم مات، فماذا يريد بعد هذا؟ الذي يطمع أن يكون ملكاً أو وزيراً أو نائباً ثم ينتهك كل الحرمات ليصل إلى شهوته.. أو تريد بعد هذا أن نخر له ساجدين في حياته وبعد موته^(٨٦).

العقاد في هذه العبارة التي سجلها عليه محمد كرد علي يفرق بوضوح بين الشخصية والعقيرة، ذلك أن علي بن أبي طالب كان عقرباً وعلى هذا فلا بد أن الخليفة الذي على شاكلته عقبري أيضاً، ولكن العقاد يرفض هذا ويعتبر معاوية شخصية وليس عقرباً، يعتبره مقتنراً وليس بالعظيم ومن هنا يتضح أن العقاد وضع العقريات في مكان أرفع من الشخصيات وإلا فلماذا وضع معاوية في الشخصيات، وكذلك عثمان بن عفان في الشخصيات، وها هو حين يقدم شخصية عثمان بن عفان، يؤكد أن سيرته لا تبرز لنا عقيرة كعقيرة الصديق أو الفاروق أو الإمام، ولكنها تبرز لنا من جانب الأريحية صفحة لا تطوي ولا يستطيع العقل الرشيد أن يرجع بها إلى باعث غير باعث العقيدة والإيمان^(٨٧)..

لذلك فهو — العقاد — لا يؤمن بالعقيرة لعثمان رضي الله عنه بقدر ما يؤمن بأنه ذو التورين «نور اليقين، ونور الخلق الأمين»^(٨٨).

وهذه الشخصيات حين يتناولها العقاد بالبحث، فإننا نلاحظ هذه الأمور:

— إن هذه الشخصيات ليست صور أعلام ذوي حظ واحد في القدرة والكفاية، ولو أنها كانت كذلك لما غرض ذلك من شأنها، فمن كان يعرف حرفاً واحداً من أبجدية الكفايات الإنسانية فهو على حظ كبير من المعرفة الإنسانية ولكنه لاشك أقل وعياً عما يعرف جملة حروف منها، وتراجع العقاد تمثل عدة أنماط من القدرة الشخصية.

— يغلب على التراجع أنها لا تؤدي أبرز ملامح صاحبها وأعماله فحسب بل تنفذ إلى محور شخصيته الذي تدور عليه شمائله ومساعيه، وأعماله وأقواله، وتميز ملامحه من ملامح أشباهه، وفق طراز قدرته وتعلل أسباب ذلك أو تفسرها سواء أذكر ذلك المحور في الترجمة أم لم يذكر.

— تدل معظم التراجم على غمط القدرة التي تشمل هذه الشخصية ومن يشبهه وإن لم يمثله، فأنت إذا عرفت سمات هذه الشخصية وحدودها وصادفت تلك الملامح، في إنسان آخر، حكمت له بمثل ما حكمت للأول أنها كان حظه دون غلط.

— يغلب على التراجم أن تنفذ بنا إلى حقيقة قدرة الشخصية بعامة واختلاف نمطها عن أنماط الكفايات والقدرات الأخرى، فلا تخلط بين هذا وغيره من ذوي المواهب والملكات التي ترفع صاحبها على الغمار أو لاترفعه.

— في تراجم العقاد سر آخر غير كثرة صور أعلامه، هذا السر هو سهولة الأداء عن كل ذي قدرة أنها كان نوع قدره وحظه منها، ثم اتساق أجزاء صورة كل عظيم من هؤلاء العظماء مستقلة عن غيرها.. ولهذا تبدو الترجمة وكأنها خرجت من قريحة صاحبها فقلبتا براعته دفعة واحدة، شأنها شأن بدء الحياة في خروجها من الأرحام إلى أيادي القوابل^(٩٩).

إن العقاد كان يفعل مع شخصياته أثناء كتابتها، حتى أنه يذكر إنه كان يكتب الفصل الواحد من «الحسين» وعيناه مغروقتان بالدموع مع إنه يفترض فيه أن يكون محابداً.. وبهذا الأسلوب — أسلوب التفريق بين العبقري والشخصية والعظمة والقدرة — كتب العقاد تراجم شخصياته وهي: الزهراء والفاطميون، والصديقة بنت الصديق، وأبو الشهداء الحسين بن علي، وذو النورين عثمان بن عفان وبلال بن رباح، وعمر بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان في الميزان^(٩٠).

وبما يذكر أن العقاد قد اهتم اهتماماً واسعاً بالعظماء، وهذا الاهتمام قائم على فلسفة العقاد الإنسانية التي تربط الإنسان بالعظمة والقدرة، وقد سأل العقاد نفسه: لِمَ نكتب ترجمة العظماء؟..

وبحسب قائلنا: إننا نكتب هذه التراجم لإرضاء الشغف النفسي بالوقوف على كل سر، والإحاطة بخفايا الوجود، ولا سيما خفايا النفس الإنسانية التي هي قلة الإنسان، وغاية ما يشغله وتسجنش عطفه وتفكيره. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نكتب تراجم العظماء لإنصافهم وتقديرهم وإعطائهم حقهم من جزاء التيجيل والإعجاب ثم نكتبها من جهة غير هذه وتلك لنستحث المقتدين بهم على ترسم خطواتهم والتطلع إلى مراتبهم^(٩١).

والشيء الذي يدل دلالة واضحة على فلسفة العقاد فيما كتبه في العبقريات والشخصيات هو المحادثة التي دارت بين العقاد وبين «جود اللا» حينما التقى به^(٩٢).

فقد قال جود اللا: أن المصريين يضحكون في مواضع الضحك التي يفتن لها الإنجليز، ويشبهون نظراءهم من السامعين هناك في التفاتات الذهن ومواقف التعقيب عند الإصغاء إلى حديث، قال: «والضحك علامة الحضارة لأن الشعوب البربرية لا تضحك فذكرنا — هكذا يقول العقاد — في تلك اللحظة قوله لبنيشة: إن الضحك من نكتة واحدة هو أول الدلائل على تقارب فكريين..

ويتلخص رأى جود اللا — كما عرضه العقاد — في أن الترجمة هي تاريخ من التواريخ يطبق على الأفراد بدلاً من تطبيقه على الأوطان والأقوام، وهي من ثم جديرة بأكبر عناية في العصور الحديثة التي شاع فيها تهوين الفرد، وتعظيم شأن القوى، والعوامل الجامعة فإن الفرد لا ريب يدل على شيء كثير، لأنه يرتفع على القمة فيشير إلى اتجاه التيار فإن لم يكن هو الفعال لكل شيء في زمانه، فهو على التحقيق دليل على مجرى الزمن، وعلى ما يكمن وراءه من الدوافع والمؤثرات.

ولما تعرض (جود اللا) لفن السيرة أو فن كتابتها، حذر الكاتب من فتنين تغريانه من جانبين مختلفين: أحدهما جانب البلاغة الأدبية، والآخر جانب النفسية أو السيكولوجية، فليس الغرض من الترجمة إخراج قطعة من الأدب البليغ، وإن صح أن نحيء أدياً بليغاً في عرض الطريق، وليس الغرض منها عرض النظريات النفسية التي قلما تغضى إلى يقين، لأنها بين شيء

مرفوض معلوم من قبل، وشيء لا نرفضه ولا نعلمه على الإطلاق، وفي كلا الأمرين مضلة تستلزم التحذير..

ثم حذر «جود اللا» من خطأين آخرين عند الكتابة عن الأقدمين خطأً النظر «الفوقاني» أو النظر إلى أعلى وهو ينتهي إلى الأطناب في الحساسيات والبطوليات، وتغيب الأقدمين كأنهم جيل من العمالة أو الملائكة العلويين.. وخطأً النظر «النحتاني» أو الترفع عن الأقدمين، كأنهم أطفال في حاجة إلى التريث والأغضاء، مع شيء من الابهت والاستهزاء..

وإنما النظرة الوسطى هي النظرة القويمة أو النظرة السواء لا إلى الأعلى ولا إلى الأدنى، فتراهم بالعين التي تنظر إلى الحياة اليومية ولا تعيبها مبالغة في الإكثار أو مبالغة في التصغير.. وقال: إن الكاتب الذي يشغل ذهنه فترة طويلة بالبحث في سيرة عظيم من العظماء لا يلبث أن يشعر عامداً أو غير عامد، أنه تقمص ثياب «سكرتير خصوصي» لذلك العظيم.. فهو يجاربه في ميوله ويتربح ملاحظاته، وإشارات، وفيهوت ومن ثم أن يستقل بذهنه في النظر إليه، وهذه أيضاً فتنة من فتن الترجمة المغربة للكتابة، عليهم أن يتقوها جاهدتين ليكتبوا عن عظمائهم عادلين مستقلين..

ويعقب العقاد على ذلك بقوله: «تلك خلاصة مقربة لجملة الآراء التي تشتمل عليها فلسفة الترجمة في رأي الأستاذ «جود اللا» وهي آراء نوافقه على معظمها، ولا نكاد نخالفه إلا في الميل إلى البطولة أو إلى الصيغة الأدبية، فإذا استطاع الكاتب أن يستروح نفحة البطولة من مترجمة، وأن يشها في قلوب قرائه، فهو في اعتقادنا عمل لاضرر فيه. بل هو واجب مطلوب مفيد لاخبار عليه.. وكذلك إذا استطاع أن يرضي ذوق الفن، ويرضي الحقيقة في وقت واحد، فذلك غاية حرية أن تتناول إليها أعناق الكتاب.. لأن تجميل الحياة بالصدق الفني غرض من الأغراض البيلة التي تخلص إليها من طريق التراجم، كما تخلص إليها من طريق الشعر، والنحت والتصوير، والغناء، فكل حياة خلعت من الجمال الفني، ومن الصورة المثالية التي يسبح عليها ذلك الجمال، هي حياة فاترة أو حياة نافصة، لا تستحق أن تعاش، وإنما مقياس الحياة التي نكتب عنها التراجم والسيرة هي الحياة التي تعاش»^(١٣).

● الملاحظات ●

- (١) المذكورة نعتات أحمد فؤاد، الجمال والحرمة والشخصية الإنسانية في أدب الطقاد، سلسلة اقرأ عدد رقم ٤٠٩ ص ٣٩ ط دار المعارف بمصر مارس ١٩٨٠م.
- (٢) الطقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، ط دار الكتاب اللبناني.
- (٣) الأستاذ ساج كرم، ماذا يعني من الطقاد، ص ٧٦ ط دار القلم بيروت.
- (٤) الطقاد المجموعة الكاملة المجلد السابع عشر ص ٢١٣ ط دار الكتاب اللبناني بيروت.
- (٥) الأستاذ ساج كرم، ماذا يعني من الطقاد ص ٧٧ ط دار القلم بيروت.
- (٦) الأستاذ ساج كرم، ماذا يعني من الطقاد ص ٧٧ ط دار القلم بيروت.
- (٧) المذكورة نعتات أحمد فؤاد، الجمال والحرمة والشخصية الإنسانية ص ٥٣ ط دار المعارف بمصر، والكواكبي للطقاد ص ٣٨٥ ط دار الكتاب اللبناني بيروت.
- (٨) الطقاد، الكواكبي، ص ٣٨٧ ط دار الكتاب اللبناني، المجلد رقم ١٧.
- (٩) المذكورة نعتات أحمد فؤاد، الجمال والحرمة والشخصية الإنسانية ص ٥٣ ط دار المعارف.
- (١٠) الطقاد المجموعة الكاملة، المجلد الثالث ١١ ط دار الكتاب اللبناني بيروت.
- (١١) المذكورة نعتات أحمد فؤاد، الجمال والحرمة والشخصية الإنسانية ص ٥٦ ط — دار المعارف بمصر.
- (١٢) الطقاد المجموعة الكاملة المجلد التاسع عشر تراجم وسير ص ٥٠٩ ط دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- (١٣) المصدر السابق ص ٥١٠.
- (١٤) المذكور جبل صليبا، للعمم الفلسفي الجزء الثاني ص ٥٣، ٥٤ ط دار الكتاب اللبناني بيروت. والمعقري نسبة إلى عقر، وهو كل ما يصعب من كآله، وفوته، وروحه، فالمعقري من الأشخاص هو القميز، الموز الذي لا ينفقه في اعتراعه أحد بفال شاعر عقرى. والمعقري من الأشياء ما يدهشنا ويحيرنا وبجاوز الأنواع التي — ألفناها من روائع الفن وعجائب الصناعات. وعقرى التي تسب إليها كلمة «عقرى» موضوع زعم العرب إنه موطن للنحن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من خلقه وروحه، أو جودة صنعه «العمم الفلسفي». وقريب من معالي المعقري — ونسبها إلى عقر ما جاء في الكتب التالية:
- الإمام الخطيب السرميني في كتابه «السراج المنير» ج ٤ ص ١٧٧.
- الإمام الحافظ ابن كثير في كتابه «تفسير القرآن العظيم» ج ٤ ص ٢٨٠ ط سنة ١٣٤٠هـ.
- الإمام فخر الدين الرازي في كتابه «التفسير الكبير» ج ٨ ص ٣٧ الطبعة الثانية.
- رأي العلامة أبو السعود في هامش كتاب «التفسير الكبير» ج ٨ ص ٣٩ الطبعة الثانية.
- رأي العلامة الطبري في كتابه «جامع البيان» ج ٢٧ ص ١٦٤ الطبعة الثانية.
- رأي الزمخشري في كتابه «الكشاف» ج ٤ ص ٥٠ ط طهران.
- الشيخ عبد الجليل عيسى في كتابه «الصحف اليسرى» ص ٧١٣ ط رقم ٣.
- العلامة سليمان الجمل في كتابه «التفاحات الإلهية» ج ٤ ص ٢٦٩ طعة الحلبي.
- مجمع اللغة العربية بمعجم ألفاظ القرآن الكريم المجلد ٢ ص ١٨٥ الطبعة الثالثة.
- الإمام القرطبي الجامع القرآن ج ١٧ ص ١٩١ ط سنة ١٣٨٧هـ.
- (١٥) الأستاذ ساج كرم، ماذا يعني من الطقاد ص ٧٧ ط دار القلم بيروت.

(١٦) والتحليل النفسي هو في نهاية الأمر ذلك العلم الخاص بتعلم البحث في الحياة النفسية في أعضائها السخيفة في تاريخها القريب والبعيد. بمعية فهم ونفسو الظواهر السلوكية التي تصدر عنها، واكتشاف ما تخضع له من قوانين. د. فرج عبد القادر طه «التحليل النفسي والشرح العلمي» ص ٧٢ مجلة دراسات فلسفية، العدد الثاني ١٩٧٧ دار الكتاب النجباء المغرب.

والتحليل عكس التركيب وهو إرجاع الكل إلى أجزائه فإذا كان الشيء المثلل واقعياً سمي التحليل حقيقياً أو طبعياً. وإذا كان ذهنياً سمي التحليل خيالياً. وقد يكون التحليل حقيقياً ولا يكون مادياً كالتحليل النفسي الذي يرجع الوظائف النفسية إلى أجزائها وعواملها. فكل تحليل مادي كالتحليل الكيميائي لتحليل حقيقي، وليس كل تحليل حقيقي كالتحليل النفسي. وينقسم التحليل بوجه آخر من القيمة إلى تحليل تجريبي، وتحليل عقلي، والتحليل التجريبي هو الملول عليه في الطريقة التجريبية بمراحليها المختلفة. أما التحليل العقلي أو الرياضي فهو أن — تؤلف سلسلة من القضايا أوها القضية المراد إثباتها. وأخرى القضية المعلومة بحيث إذا ذهبت من الأولى أي القضية المراد إثباتها إلى الأخيرة أي القضية المعلومة كانت كل قضية نتيجة ضرورة لتي بعدها «التعميم الفلسفي» للذكور جبل صليبا ج ١ ص ٢٥٤، ٢٢٥ ط دار الكتاب اللبناني.

(١٧) السلوك: السوء، والظهور، والاتجاه، وعلم السلوك عند القدماء هو معرفة النفس مائلا، وما عليها. ويسمى بعلم الأخلاق، وموضوعه: أخلاق النفس والبحث عن عوارضها الذاتية لمعرفة الطريق التي يجب سلوكها. والسلوك عند علماء النفس المحدثين مجموع ما يقوم به الكائن الحي من ردود فعل مرتبة على تحازمه السالفة سواء أكانت مشتركة بين أفراد النوع أم خاصة بفرد دون آخر، وهو يتضمن الأفعال الجسمية الظاهرة والباطنة. والعمليات النفسية الوحدانية والنشاط العقلي. التعميم الفلسفي ج ٢ ص ٦٧١.

(١٨) الأستاذ سام كروج. ماذا يعني من العقاد ص ٧٧ ط دار القلم بيروت.

(١٩) العقاد المعرفيات، المجلد الأول ص ١٤ ط دار الكتاب اللبناني.

(٢٠) المصدر السابق ص ١٥.

(٢١) الأستاذ سام كروج. ماذا يعني من العقاد. ص ٧٩ ط دار القلم بيروت.

(٢٢) الإمام محمد عبده. رسالة التوحيد. ص ١١٥ ط الهلال عدد رقم ١٤٣ رمضان ١٩٨٢م.

(٢٣) الذكور محمد حسين هيكل [إحياء محمد] ص ٣٥

(٢٤) الأستاذ سام كروج. ماذا يعني من العقاد ص ٨٠ ط دار القلم بيروت.

(٢٥) المصدر السابق ص ٨٠.

(٢٦) الأستاذ سام كروج. ماذا يعني من العقاد ص ٨٠ ط دار القلم بيروت.

(٢٧) الأستاذ حمد بن ثابت الشمرى، العقاد وراثته الإسلامية ص ٧٤ ط التقدم.

(٢٨) العقاد المعرفيات الإسلامية المجلد الأول ص ١٦٧ ط دار الكتاب اللبناني.

(٢٩) العقاد المعرفيات الإسلامية المجلد الأول ص ١٦٧ ط دار الكتاب اللبناني.

(٣٠) الأستاذ حمد بن ثابت الشمرى. العقاد وراثته الإسلامية ص ٧٤ ط التقدم مصر.

(٣١) الأستاذ سام كروج. ماذا يعني من العقاد ص ٨٢ ط دار القلم بيروت.

(٣٢) العقاد المعرفيات، المجلد الأول ص ١٣٤ وص ٢٢٦ ط دار الكتاب اللبناني.

(٣٣) العقاد المعرفيات، المجلد الأول ص ١٣٣ ط دار الكتاب اللبناني.

- (٣٤) العباد المعقريات، المجلد الأول ص ٢٢٧ ط دار الكتاب اللبناني.
- (٣٥) العباد المعقريات، المجلد الأول ص ٤٣٤ ط دار الكتاب اللبناني.
- (٣٦) العباد المعقريات، المجلد الأول ص ٢٢٧ ط دار الكتاب اللبناني.
- (٣٧) العباد المعقريات، المجلد الأول ص ٢٤٦، ٢٤٧ ط دار الكتاب اللبناني.
- (٣٨) العباد المعقريات، المجلد الأول ص ٢٤٧ ط دار الكتاب اللبناني.
- (٣٩) العباد المعقريات، المجلد الأول ص ٢٤٧ ط دار الكتاب اللبناني.
- (٤٠) الدكتور شوقي حبيب. مع العباد ص ٨٨ ط دار المعارف. والأستاذ ساح كرمي ماذا يبقى من العباد ص ٨٣ ط دار القلم بيروت.
- (٤١) الأستاذ ساح كرمي. ماذا يبقى من العباد ص ٨٣ ط دار القلم بيروت.
- (٤٢) الأستاذ ساح كرمي. ماذا يبقى من العباد ص ٨٣ ط دار القلم بيروت.
- (٤٣) العباد المعقريات، المجلد الأول ص ٣٧٧ ط دار الكتاب اللبناني.
- (٤٤) المصدر السابق ص ٣٧٩.
- (٤٥) الدكتور شوقي حبيب. مع العباد ص ٨٨ ط دار المعارف، عفر.
- (٤٦) فري المجلد: قطعة لصلحه، وفري القرى. آل بالمعجب. والمضى أن عمر عبقري منفرد في عمله، فلا أحد يقدر على أن يصنع مثل صنيعه هاشم ص ٣٨١ من عبقريه عمر.
- (٤٧) اسم من ندبه للأمر أي دعاه.
- (٤٨) العباد المعقريات، المجلد الأول ص ٣٨١ ط دار الكتاب اللبناني.
- (٤٩) العباد المعقريات، المجلد الأول ص ٣٨٠ ط دار الكتاب اللبناني. ويظهر أيضاً الأستاذ حمد بن نايف الشمري في كتابه «العباد وتراثه الإسلامي» ص ٧٨ ط المنظم.
- (٥٠) النخوة: العظمة والكبر والفخر، نخا، بنخو، ولخني، وهو أكثر. وأشد. الليث: (وما رأينا معشراً فيستغوا). ويقول الأصمعي: زهي فلان فهو مزهو، ولا يقال: زها. ويقال: غي فلان واتسعي، ولا يقال: نخا، ويقال اتسعي فلان علينا أي اتسخر وتعظم، ابن منظور لسان العرب ص ٤٣٧٩ ط المعارف.
- (٥١) العباد المعقريات، المجلد الثاني ص ٢٩ ط دار الكتاب اللبناني.
- (٥٢) الأستاذ ساح كرمي. ماذا يبقى من العباد ص ٨٥ ط دار القلم بيروت.
- (٥٣) العباد المعقريات، المجلد الثالث ص ٤٠٥ ط دار الكتاب اللبناني.
- (٥٤) الدكتور شوقي حبيب مع العباد ص ٨٩ سلسلة اقرأ ط دار المعارف.
- (٥٥) الأستاذ ساح كرمي ماذا يبقى من العباد ص ٨٦ ط دار القلم بيروت.
- (٥٦) الدكتور عبد اللطفي يومي. تجديد الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٤٦٠ ط استسـل. مكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة.
- (٥٧) المصدر السابق ص ٤٦٠.
- (٥٨) الديدي. عبقريه العباد ص ١٤٥ ط الهيئة القومية.
- (٥٩) العباد المعقريات، المجلد الأول ص ١٦ ط دار الكتاب المصري.

(٦٠) الديدي. عقوبة العقاد ١٤٦ ط الهيئة القومية.

(٦١) الدكتور عبد المعطي يومي تجديد الفكر الإسلامي ص ٤٦٠ ط (استغل).

(٦٢) الأستاذ غازي التوبة الفكر الإسلامي المعاصر ص ١٦٢، ١٦٣ الطبعة الثالثة دار القلم.

(٦٣) الدكتور عبد المعطي يومي. تجديد الفكر الإسلامي ص ٤٦٠ ط «استغل».

(٦٤) العقاد. الإسلاميات. مطلع النور ص ٢١٣ ط دار الكتاب اللبناني.

(٦٥) العقاد. العبريات. المجلد الأول ص ١٥ ط دار الكتاب اللبناني.

(٦٦) العقاد. العبريات المجلد الأول ص ١٧ ط دار الكتاب اللبناني.

(٦٨) طبع أول طبعة سنة ١٩٤٠ (٦٩) طبع أول طبعة سنة ١٩٥٥ (٧٠) طبع أول طبعة سنة ١٩٥٦ م.

(٧١) الأستاذ غازي التوبة الفكر الإسلامي المعاصر ص ١٦٦ الطبعة الثالثة دار القلم..

(٧٢) الدكتور عبد المعطي يومي تجديد الفكر الإسلامي ص ٤٦١ ط استغل رسالة دكتوراه.

(٧٣) الأستاذ غازي التوبة «الفكر الإسلامي المعاصر» ص ١٤٥ الطبعة الثالثة دار القلم.

(٧٤) الأستاذ غازي التوبة. الفكر الإسلامي المعاصر ص ١٤٦ الطبعة الثالثة. دار القلم.

(٧٥) المصدر نفسه ص ٤٩.

(٧٨) العقاد العبريات المجلد الأول ص ١٤ ط دار الكتاب اللبناني بيروت.

(٧٩) الديدي عقوبة العقاد ص ١٤٤ ط الدار القومية..

(٨٠) العقاد العبريات المجلد الرابع ص ٢٠٩ ط دار الكتاب اللبناني.

(٨١) المصدر السابق ص ١٠٩.

(٨٢) الأستاذ حمد بن تاييف الشمري «العقاد وقرائه الإسلامي» ص ٦٤ مطبعة التقدم.

(٨٣) العقاد، العبريات، المجلد رقم ٤ ص ٢٢٤، ط دار الكتاب اللبناني.

(٨٤) العقاد: العبريات، المجلد رقم ٤ ص ٢٢٤، ط دار الكتاب اللبناني.

(٨٥) المصدر السابق ص ٢٤٤.

(٨٦) الأستاذ ساج كريم: ماذا يقى من العقاد ص ٨٧، ٨٨، ط دار القلم بيروت.

(٨٧) العقاد العبريات، المجلد رقم ٣ ص ١٥، ط دار الكتاب اللبناني.

(٨٨) الأستاذ ساج كريم، ماذا يقى من العقاد، ص ٨٨ ط دار القلم بيروت.

(٨٩) الأستاذ ساج كريم: ماذا يقى من العقاد، ص ٨٨، ٨٩، ط دار القلم.

(٩٠) المصدر السابق ص ٨٩ بصرف.

(٩١) الأستاذ ساج كريم، ماذا يقى من العقاد ص ٨٩ ط دار القلم بيروت.

(٩٢) جود اللا هو صاحب سيرة نرشلي، وسيرة بالموسون، وسيرة نابلون الثالث، وسيرة ولنجون، وفي أثناء مروره بمصر ألقى محاضرة عن العمل الفرحم وبعد انتهاء المحاضرة التقى به العقاد في بيت الدكتور هيكل، ونشر العقاد بهذه المناسبة مقالاً كاملاً عن «فلسفة التراجيم» بمجلة الرسالة في ٢٢ من مارس سنة ١٩٤٣ «عقوبة العقاد للديدي».

(٩٣) الديدي، عقوبة العقاد ص ١٥٠، ١٥١ ط الدار القومية.